بين التريث والسرعة

بقلم صاحب التوقيع

عرف الاقدمون الحكمة بقولهم ان الأمثال في الكلام كالملح في الطعام والحق انها ليست ملحاً فقط وانما هي من اطيب اطعمة البشريات المطيبة بمطابخ الحياة العملية المفرغة باناء من الالفاظ زاخر بشمار تجارب الامم الناطقة بها ولا غرابه اذا الفينا عقلية اجدادنا متجزئة في ابدان حروف هذه الامثال السائرة التي تلوكها السنتنا لدى كل مناسبة .

واذا مالوحظ تباين في بعضها فلأنها قيلت في مناسبات مختلفة ومن رجال يتفاوتون في درجات التفكير ويختلفون في الثقافة .. ورغبة لما نتوخاه نأتي بمثلين مختلفين في القصد والغرض كقولهم « العجلة من الشيطان » وفي التأني السلامة وفي العجلة الندامة : وقريباً من هذا البيت المعروف .

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

هذا الضرب من الامثال لاشك فيه من الفلسفة القديمة التي تنطوي على شيء من المنطق كما يقولون يقصد منها ان في التريث اعطاء المجال للتفكير وتحليل الامور وارجاع النتائج الى مسبباتها بحيث يتسنى للمرء ان يجزم في الامر بعد ان يكون قد اشبعه درسا وتمحيصاً والم به من كافة اطرافه وقلبه من جميع نواحيه كيما يتقي مزالق الشطط .

هذا النوع من الامثلة دارج على كثير من الالسنة وخاصة السنة المتباطئين .

وبخلافه المثل القائل (فاز باللذة الجسور) وهناك امثال شعبية ترسم لنا صورة من صور وجوب السرعة مثل قولهم « الذي ما سيق سابقه لا خير في كديشه » والذي سبق اكل النبق والشاص شاص والحمل حمل .

مغزى هذه الأمثال أن المستعجل هو الذي يفوز غالبا لاريب ان القائلين لهذه الامثال ركزوا فلسفتهم على عامل الزمن وفي نظرهم هو المحور الذي تدور عليه احداث الحياة .

ولا يخلو من الحكم هذا التقارب بالامثال ليختار الانسان ما يوافق ذوقه وما توحيه المناسبات ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ليس المهم التريث او الاسراع وانما المهم ان تتبصر وتتدبر بالوقت نفسه نقدر قيمة الزمن ونتهز الفرص وعند سنوحها نعرف كيف نستفيد منها .

ولنتجنب الزلل ما وجدنا الى تجنبه سبيلا

فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقوله لك .. الناس ثلاثة فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح .

هذا هو الامام علي ـ ع ـ في بلاغته واعجازه ، وما ذكرنا على سبيل المثال لله يعدو ان يكون قطرة من بحر . ولعمري فانه يمثل لنا مدرسة فكرية رفيعة ، لها مريدوها وتلاميذها منذ فجر الاسلام حتى قيام الساعة

ولئن حاولنا الكتابة حول هذا الموضوع الهام على ضعف في اداء المراد ؛ فاننا نستهدف الناحية الادبية في حياته (ع) وهي التي تلقي الاضواء على بيانه وتفكيره واسلوبه الجميل ، وهذا ما يدعونا الى السير على تلك السنن البيانية الفريدة ، فنقي السنتنا المي ، ونجعل لما نكتب صورة تقسم بالرقة والقوة والحياة ..

البصرة : محمود محمد الحبيب